مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد الثالث والعشرون، العدد الأول، ص317– ص346 يناير 2015
ISSN 1726-6807 http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/

الجانب الأخلاقي في الخطاب الإسلامي
في ضوء عصر النبوة

أ.د. يحيى علي يحيى الدجني
قسم العقيدة والمذاهب العاصرة – كلية أصول الدين
الجامعة الإسلامية – غزة

ملخص: تناولت هذه الدراسة أهم الجوانب الأخلاقية التي تميز بها الخطاب الإسلامي، كالرفق واحترام الآخرين وعدم استفزازهم، والإحسان في الخطاب مع أهل الكتاب وعدم إلحاق الأذى بهم، وصدق الخطاب وما يتعلق به من آداب، كالرحمة والعدل والوفاء والصبر، مع ذكر نماذج ومواقف في حياة النبيﷺ، وقد وقفت الدراسة على أهمية هذه الأخلاق في التأثير الإيجابي في مقابل الخطاب التنفيري الذي افتقر إلى بعض الجوانب الأخلاقية السابقة، وأعطى صورة مشوهة للإسلام.

The morals of Islamic rhetoric in light of the Prophetic era

Abstract: This study addresses the moral features of the Islamic rhetoric, such as kindness, justice, faithfulness, patience, and respecting others, including the people of the Book (i.e., Christians and Jews). Exemplary situations in the life of Prophet Mohammed (p.b.u.h.) are referred to. The significance of these morals and their positive effect are highlighted as contrasting with the repulsive rhetoric that lacks some of the morals above, which distorts the picture of Islam.

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأصلي وأسلم على سيد الخلق وحبيب الحق محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، فقد أمرنا الله تعالى بالاهتداء بهديه، والاستنان بسنته، فقال تعالى: ﴿**وَمَآ آتَاكُمُ الرّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ وَاتّقُواْ اللّهَ إِنّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ الحشر/7، أما بعد.

أهمية الموضوع: يعد الجانب الأخلاقي في الخطاب الإسلامي من أهم أدوات النجاح والتأثير في العملية الدعوية؛ لما له من تأثير كبير في اختراق حواجز النفس الإنسانية، بغض النظر عن فكرها أو معتقدها، وهو ما فسر بيان النبيﷺ من أن غاية بعثته إتمام مكارم الأخلاق، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِﷺ : (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ)[1].

وقد برزت هذه الأخلاق الفاضلة في الخطاب الإسلامي في مرحلة السلم المجتمعي؛ لكي تحقق غايتها في استيعاب الآخرين وتقدم لهم عقيدة الإسلام دون أن تعترضها خشونة الخطاب أو قسوة العرض، خاصة في زمن الثورة المعلوماتية والتي مكنّت الخطاب الإسلامي من الوصول إلى

مختلف دول العالم بيسر وسهولة، الأمر الذي يفرض على الدعاة أن يراعوا الجانب الأخلاقي في الخطاب الإسلامي، مقتفين بذلك هدي النبيﷺ، مما يكون له عظيم الأثر في تحقيق مقاصد الخطاب الإسلامي وتلمس أهدافه، وهو ما ستعنى به هذه الدراسة، بحيث تصل الرسالة الدعوية إلى أصحاب المدارس الفكرية، والدينية، والدعوية الأخرى بشكل إيجابي وصحيح.

أسباب اختيار موضوع البحث:

1- بروز كثير من الأخطاء السلوكية في الخطاب الدعوي لبعض الدعاة يدفع لدراسة هذا الجانب في ضوء عصر النبوة للإسهام في تصحيح المسار.

2- استغلال أعداء الإسلام لسقطات عديد من الخطباء والدعاة، والذين لم يراعوا الفرق بين الخطاب الخاص والعام، أو بين الخطاب المحلي والعالمي.

3- إن معرفة أخلاقيات الخطاب الإسلامي، يمكن الدعاة من التأثير الإيجابي على الآخرين.

منهج البحث: وسأتبع المنهج الوصفي التحليلي، والمقارن خلال هذه الدراسة.

طريقة البحث: ويمكن إجمالها في النقاط الآتية:

1- عزو الآيات القرآنية، بذكر اسم السورة ورقم الآية، وتوثيقها في المتن.

2- تخريج الأحاديث وذلك بعزوها إلى مظانها مع ذكر اسم الكتاب، والباب، ورقم الحديث، والجزء والصفحة، وبيان درجة الحديث.

3- توثيق المراجع وفق أصول المنهج العلمي، وذلك بذكر اسم الكتاب ثم اسم المؤلف، والمحقق إن وجد، ثم رقم الجزء والصفحة، ثم رقم الطبعة، ثم دار النشر وبلد النشر، وتاريخ النشر، وفي حال عدم ورود رقم طبعة أو تاريخ نشر أكتب في الحواشي بدون رقم طبعة أو بدون تاريخ.

4- إذا تكرر الاقتباس من المرجع خلال البحث أكتفي بذكر اسم الكتاب والجزء والصفحة، إلا إذا جاء الاقتباس من نفس المرجع عقبه مباشرة فأشير إليه بلفظ مرجع سابق.

خطة البحث: وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مطالب وخاتمة، موزعة كما يلي:

المقدمة: وتتضمن أهمية البحث وسبب اختياره، ومنهج البحث، ثم خطة البحث.

تمهيد

المطلب الأول- الرفق في الخطاب.

المطلب الثاني- احترام الآخرين وعدم استفزازهم.

المطلب الثالث: جوانب أخلاقية أخرى في الخطاب الإسلامي

الخاتمة: وتتضمن أهم نتائج الدراسة، وأبرز التوصيات التي تخدم غرض البحث.

تمهيد

إن من الأخلاق ما هو سجية في النفس الإنسانية جبل الله الناس عليها، وإن منها ما هو اكتساب، يتحصل عليه المرء خلال حياته عبر رياضة النفس وتربيتها ودفعها نحو الاستقامة، وحسن السلوك والمعاملة التي جاء بها الإسلام، وحث عليها محمد ﷺ، وكانت بعثته من أجل إتمامها.

وقد عرفها بعض الباحثين بأنها : "مجموعة التصرفات القولية والفعلية التي يقوم بها المسلم والتي تنبثق عن العقيدة الإسلامية "[(2)]، وهي تمثل الخطاب الصامت الذي ينفذ إلى شغاف القلوب، فيأسر أصحابها ويهيؤهم لتقبل خطاب أصحابها، فكيف إذا ظهر الخلق في الكلم نفسه؟!..

لقد احتلت الأخلاق مكانة عظيمة في الإسلام، فقد حثت آيات القرآن الكريم في كثير من المواطن على السلوكيات الفاضلة، حيث قدَّر الله عز وجل خلق العدل والإحسان وصلة الرحم والبعد عن سوء الرد في القول والعمل، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل/90، ونهى كذلك عن شهادة الزور، وعن لغو الحديث الذي لا طائل تحته، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ الفرقان/72، وحث على الرفق بالناس حتى لا ينفروا من حول الدعاة إلى الله عز وجل، إلى غير ذلك من الجوانب الأخلاقية.

والداعية مطالب بالتزام الجانب الخلقي في خطابه؛ ليحقق بذلك أحد مستلزمات النجاح الرئيسة، والتي لا يمكن أن يكسب بدونها سوى الرعاع ومن لا خلاق له، فإذا تخلق بصالح الأخلاق ودعا لها، والتزم خطابه بها استجاب لدعوته أصحاب الفطرة السليمة والعقول النيرة، الذين تحتاجهم الدعوة لكي يأخذوا دورهم في عملية البناء والتربية والإعداد.

ومن ناحية أخرى فإن الإلزام الخلقي يقوم على ركيزتين رئيستين، هما الاعتقاد والسلوك[(3)]؛ لذا ينبغي على الداعية وهو ينوي تحقيق مرضاة الله تعالى في دعوة الآخرين أن يوافق مسلكه في خطابه شريعة الله تعالى كي يؤتي الخطاب أكله، وكي نجني منه ثماره، وأن يلمس الآخر قيم الإسلام العظيم ويلمس مكارم الأخلاق التي ندعو إليها.

إن مما لا شك فيه أن الخطاب الإسلامي لا يمكن أن يكون مؤثراً وهو بمعزل عن مكارم الأخلاق، التي ندبنا إليها الإسلام، وحثنا أن نتعامل بها مع المسلم وغيره، كالرفق واحترام الآخرين وعدم استفزازهم، والإحسان في الخطاب مع أهل الكتاب وعدم إلحاق الأذى بهم، وغيرها من مكارم الأخلاق، وهو ما سيأتي بيانه في المطالب التالية.

المطلب الأول: الرفق في الخطاب

إن الخطاب أشبه بحقنة الدواء التي يحتاجها المريض، لذا ينبغي أن تعطى برفق كي يتقبلها المريض بقبول حسن، ولا يعرض عنها فيحرم خيرها، ويؤذى بتركها.

وإذا كان الطبيب الناجح هو الذي يتقن فن تشخيص الداء، وجمال عرض الدواء، كي يتناوله المريض برضى واستجابة كاملة، فإن المدعو ينتظر من الداعية أن يقدم خطابه بين يديه وهو يبتسم، إذا تضمن تبشيراً، وبرفق وحكمة إذا اشتمل إنذاراً، وذلك استجابة لتوجيهات القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل/ 125، فينبغي للموعظة أن تكون لينة حسنة، وليست قاسية خشنة، دون أن يعني ذلك التساهل في ترك أمور الدين وعدم الالتزام بالأحكام.

لقد دعت تعاليم الإسلام الداعية إلى الطيب من القول، بوصفه أيسر السبل لتحقيق مقاصد الدعوة وأهدافها، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ البقرة/83، وهي دعوة لتحسين الخطاب مع الآخر، وأن نجاوزهم بأحسن ما نحب أن نجاوز به، وفيه حض ظاهر على مكارم الأخلاق، فينبغي للداعية أن يكون قوله للناس ليناً، ووجهه منبسطاً طلقاً، مع البر والفاجر والسني والمبتدع، من غير مداهنة ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضي مذهبه؛ لأن الله تعالى قال لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ طه/ 44، فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون عليهما السلام، والفاجر ليس أخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه، وإذا كانت الآية تحث على حسن الخطاب مع الكافر، فكيف بالحنيفي؟![4].

يقول عبد الله علوان: "فكم سمعنا من علماء ودعاة.. كانوا قمة في العلم، وبحراً في السخاء، ومثلاً أعلى في الصدق والاستقامة، ولكن.. حين تجردوا من الرفق واللين والأناة، واتصفوا بالغضب والحدة والانفعال.. نفر الناس منهم، وانفضُّوا عنهم، وتخلوا عن دعوة الله عز وجل.. بل ربما ساروا نتيجة ذلك في طريق ردود الفعل.. الذي يوصلهم إلى أسوأ النتائج، وأقبح المفاسد، وأخس الغايات"[5].

وقد برز اللين في خطاب النبيﷺ في كثير من المواطن، سواءً مع المسلمين أو أهل الذمة، وغيرهم من المشركين، وهو ما يمكن بيانه فيما يأتي:

أولاً– مع المسلمين:

إن المسلم كسائر البشر قد يهم بمعصية أو يواقعها، ومن ثم تجده بحاجة ماسة إلى خطاب إصلاحي يراعي طبيعته البشرية، ونفسه التي ضعفت أمام نزغات الشيطان، وعقله الذي ينتظر أسلوباً مقنعاً، لكنه يمتاز بالرفق واللين، وهو ما برز في هدي النبيﷺ في غير موطن، ومنها:

1– الرفق في الحوار:

ومن ذلك الشاب الذي استأذن النبيﷺ في الزنا، فما عنّفه وما شتمه، ولا أذن للصحابة بشيء من ذلك، بل وجّه إليه خطاباً في غاية اللين والإقناع.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ﷛ قَالَ: (إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ مَهْ فَقَالَ: ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ)[6].

وتظهر ملامح اللين في خطاب الرسولﷺ، من خلال:

أ– عدم ترك الشاب لموقف الصحابة والذي قام على الزجر ابتداءً، ويخشى أن يتفاقم فيتخذ شكلاً أكثر قسوة، وهو ما قد يؤدي بالشاب إلى مزيد من النفور، أو الإصرار على المعصية؛ لذا تولى النبيﷺ أمر مخاطبته.

ب– دعوة النبيﷺ للشاب بقوله: "ادنه"، حتى دنا قريباً، فيها إشعار للشاب بشيء من الحب والأمان، وأنه في كنف رسول اللهﷺ، مما يسهم في تحقيق مقاصد الخطاب الذي سيوجهه الرسولﷺ له بعد دعوته بالاقتراب.

ج– استخدام النبيﷺ المنهج العقلي في الخطاب، بشكل سلس ومفهوم لدى الشاب، أسهم في إقناعه بعدم الزنا.

د– وضع النبيﷺ يده على الشاب ودعاؤه له، فيه تأثير عاطفي على نفس الشاب، وهو ما تمثل عقبه بعدم التفاته لشيء من أمر الزنا، وقد أفادت سرعة الاستجابة فاء الترتيب والتعقيب في عبارة "فلم يكن بعد ذلك...".

وكذلك ظهر لين خطاب النبيﷺ مع من عرف بفظاظة القول من المسلمين، ومثال ذلك مخرمة بن نوفل وهو صحابي جليل، لكنه كان قد عرف بفظاظة في لسانه، فكان النبيﷺ يتقي لسانه[7]، بأن يلقاه باشاً في وجهه غير عابس، بل إنه عدّ غير ذلك من الفحش.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: (أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّﷺ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ. فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّﷺ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا؟ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ)[8].

وقد بين ابن حجر أن النبيﷺ حين ذمّ الرجل كان لقصد التعريف بحاله من الغلظة والفظاظة، وحيث تلقاه بالبشر كان لتأليفه أو لاتقاء شره، فما قصد بالحالتين إلا نفع المسلمين[9].

2- التبسم وطلاقة الوجه:

إن للابتسامة الصادقة تأثير خفي وقوي على القلوب، يفوق كثيراً من الكلمات والنصائح، فكيف إذا اقترنت بها مع ملاءمتها لها؟!! لذا عرف النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة، فكان إذا لقي إخوانه ابتسم في وجوههم

أخرج البخاري في صحيحه بسنده عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ أَسْلَمْتُ وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ إِنِّي لَا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا)[10].

كما وجه النبي تعاليمه إلى الدعاة بالتبسم في وجوه إخوانهم، وبشر بحسن الثواب على ذلك ما احتسب فاعله وجه الله تعالى.

أخرج الإمام الترمذي في سننه بسنده عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنْ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ...)[11].

إن الداعية الناجح هو من يلتزم بتلك الأخلاق ويتقن فن التعامل مع غيره والتي أحد مفاتحها التبسم والبشاشة في وجوههم، ومغاليقها العبوس وتقطيب الجبين.

والابتسامة تبعد الوحشة عن الناس وتزيل الغربة عنهم، وترسم في الذاكرة صورة طيبة ترتاح إليها القلوب متى رأتها أو استمعت لها أو تذكرتها[12].

يقول ابن عيينة: "والبشاشة مصيدة المودة والبر شيء هين وجه طليق وكلام لين وفيه رد على العالم الذي يصعر خده للناس كأنه معرض عنهم وعلى العابد الذي يعبس وجهه ويقطب جبينه كأنه منزه عن الناس مستقذر لهم أو غضبان عليهم"[13].

3- التعريض دون التصريح:
إن الخطاب الدعوي يهدف إلى إصلاح أحوال الناس ولا يستهدف الاصطدام بمشاعرهم واستفزازهم، خاصة إذا استقرت لديهم بعض العادات أو الأفكار المخالفة، والتي إذا تناولها الخطيب بالنقد والنقد بشكل مباشر فإن ذلك قد يؤدي إلى مقاطعته وإفساد خطبته أو درسه، وخاصة إذا كان في المجتمع فصائل وتنظيمات وجماعات، فعلى الخطيب أن يراعي هذه القضية فلا يستثير حفيظة أحد، ولكنه ممكن أن يعالج أي قضية عن طريق "ما بال أقوام" دون تحديد الشخص أو العائلة أو الجماعة بما يسيء إلى مشاعرهم.
ومن ذلك أن النبيﷺ حين بلغه أن قوماً اشترطوا في أمر عَقْدٍ شروطاً ليست من الإسلام في شيء، فلم يذكر أسماءهم وهو ينتقد فعلهم، بل صعد رسول اللهﷺ على المنبر فقال: (ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليس في كتاب الله، من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فليس له وإن اشترط مائة مرة)[14].
وقد بيَّن ابن حجر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يظهر الأمور المهمة من أمور الدين ويعلنها ويخطب بها على المنبر لإشاعتها، وأنه كان يراعى قلوب أصحابه؛ لأنه لم يعين الأشخاص الذين خالفوا مع علمه بأسمائهم، بل قال ما بال أقوام[15].

ثانياً- مع اليهود:

إن من لوازم الإحسان في الخطاب الرفق واللين حتى مع من آذونا بخطاباتهم، بغية استمالة قلوب الناس وعقولهم، مع عدم التماثل بمنهجهم ومنطق خطابهم.
لقد استخدم النبيﷺ هذه الأخلاق مع اليهود، حين استبدلوا تحية السلام بالسام -أي الموت- فما زاد على كلمة وعليكم، فعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (دَخَلَ رَهْطٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِﷺ فَقَالُوا السَّامُ عَلَيْكَ فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ عَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ مَهْلًا يَا عَائِشَةُ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ فَقَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ)[16].
يقول الإمام ابن حجر: "والذي يظهر أن النبيﷺ أراد أن لا يتعود لسانها بالفحش، أو أنكر عليها الإفراط في السب"[17]؛ لذا اقتصر النبيﷺ على هذا الرد الميسر لتأليف قلوبهم[18]، أو أن يكون ترفعاً عن النزول في مستنقع أخلاقهم الدنيئة.
يقول الإمام النووي: "وفى هذا الحديث استحباب تغافل أهل الفضل عن سفه المبطلين، إذا لم تترتب عليه مفسدة، قال الشافعي رحمه الله: الكيس العاقل هو الفطن المتغافل"[19].
فالداعية مطالب ألا يعوّد لسانه على الألفاظ الخشنة؛ لأنها أقصر سبيل لإغلاق القلوب، وتنفير من أردنا تقريبه، أما إذا كان الخطاب موجهاً إلى أناس بحاجة إلى الشدة والتأديب وبحيث لا يثمر الرفق معهم، فينبغي أن يتحول الخطاب من اللين إلى الشدة بما يناسبهم لزجرهم.

يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ الحديد/ 25، فمن لم ينتفع بالموعظة الحسنة ولم يصلحه الكتاب والميزان، فالحديد له رادع والشدة له دواء[20].

المطلب الثاني: احترام الآخرين وعدم استفزازهم

إن احترام الآخر هو نقطة البدء لأي خطاب أو حوار، فإن امتنعت فلا قيمة لخطاب أو تحاور، وهذا لا يعني بالضرورة المداهنة والتنازل عن الحق الذي يراه الداعية، ولكن المقصود هو عدم قصد الاصطدام المشين، والبحث عما يستفز الآخر ويهينه، فهذه وتلك ليست من أخلاقيات الخطاب الإسلامي في شيء، لذا يرى المتأمل في هدي النبيﷺ نبراساً يضيء له طريق الأخلاق مع المخالفين، كالدعاء لهم وعدم قصد استفزازهم، والاستماع لهم، واستمرار هذه الأخلاق بعد الخطاب بغية هدايتهم، ويمكن توضيحها في ضوء مواقف النبيﷺ من خلال النقاط الآتية:

أولاً- الدعاء للمخالفين:

إن المتأمل لمنهج النبيﷺ يجد أنه حريص على هداية المشركين، رغم ما أصابه منهم من أذىً، سواء كان حسياً أم معنوياً؛ وذلك لأن غايته تقريبهم لا إقصاءهم وإبعادهم عن التوحيد، وهو ما لا يتحقق بالدعاء عليهم، لما في ذلك من جلب النفرة، وتعميق الفجوة معهم، وهو ما يخالف مقاصد الرسالة.

وإليك بعض النماذج الذي توضح حرص النبيﷺ على هداية الآخرين ودعائه لهم:

1- دعاؤهﷺ لدوس وثقيف:

لقد بادر النبيﷺ إلى دعوة قبيلة دوس، فما كان منهم إلا المعصية والإعراض، إلا أن هذا الرفض قوبل من النبيﷺ بمزيد من اللين والرفق، متمثلاً بالدعاء لهم بالهداية، ليتألّف قلوبهم ويأتي بهم إلى الإسلام.

عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: (قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ عَلَى النَّبِيِّﷺ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا. فَقِيلَ: هَلَكَتْ دَوْسٌ. قَالَ: اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ)[21]، وقد بوب الإمام البخاري لهذا الحديث باباً أسماه: "باب الدُّعَاءِ لِلْمُشْرِكِينَ بِالْهُدَى لِيَتَأَلَّفَهُمْ"[22].

وقد يشكل على موقف النبيﷺ من قبيلة دوس والذي تمثل في الدعاء عليهم تارة[23]، وبين الدعاء لهم تارة أخرى، والجواب أنه في الحالة الأولى كانت شوكتهم قد اشتدت وكثر أذاهم، فناسب ذلك الدعاء عليهم، في حين أنه دعا لهم حين أمن غائلتهم ورجا تألفهم[24].

كما دعا النبيﷺ لثقيف، فعَنْ جَابِرٍ﵁، قَالَ: (قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْرَقَتْنَا نِبَالُ ثَقِيفٍ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ قَالَ اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا)[25]، فأسلموا، ثم أصبحوا من صالحي الناس، ووجد منهم أئمة وقادة[26].

2- دعاؤهﷺ لأم أبي هريرة﵁:

عن أبي هُرَيْرَةَ﵁ قَالَ: (كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ اللَّهِﷺ مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِﷺ وَأَنَا أَبْكِي قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِﷺ فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ فَقَالَتْ مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ قَالَ فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا فَفَتَحَتْ الْبَابَ ثُمَّ قَالَتْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِﷺ فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنْ الْفَرَحِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبْشِرْ قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحَبِّبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُحَبِّبَهُمْ إِلَيْنَا قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: اللَّهُمَّ حَبِّبْ عُبَيْدَكَ هَذَا، يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ وَأُمَّهُ، إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمْ الْمُؤْمِنِينَ، فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي)[27].

3- الدعاء لمن عطس من اليهود بحضرته:

امتد دعاء النبيﷺ ليشمل اليهود، بعد أن شمل آحاد المشركين وأقوامهم، بما يدل على أن الخطاب الإسلامي، ما كان له أن ينجح دون هذه الأخلاق العالية، والتي قامت على أساس بين من الاحترام للآخرين، والحرص على هدايتهم، سواء كانوا موجودين أمام الداعية أم لا، فعن أبي مُوسَى﵁ قال: (كان الْيَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ النبيﷺ يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لهم يَرْحَمُكُمْ الله، فيقول: يَهْدِيكُمُ الله وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ)[28].

ولما كانت رحمة الله خاصة بالمؤمنين، لم يدع النبيﷺ لليهود بها، في حين دعا لهم بما يصلح بالهم، من الهداية والتوفيق والإيمان[29].

ثانياً- البعد عن الخطاب الاستفزازي:

ينبغي للخطاب الإسلامي لكي يكون مقبولاً أن يراعي مشاعر الآخرين، ويظهر احترامهم، وينأى عن استفزازهم، مع ضرورة التمييز بين مرحلتي الحرب والسلم-كما سبقت الإشارة- ودون تناقض مع

عقيدة الولاء والبراء وهذه القيم السليمة، فالمجاملة في الدين مرفوضة لكن العلاقات الإيجابية مع الآخرين واحترامهم، مطلوبة دون أن يكون في ذلك مس للعقيدة الإسلامية وأحكام الشريعة.

ومن صور الخطاب الاستفزازي:

1- ظلم الآخر بالافتراء عليه وسبه ولعنه:

إن الخطاب الإسلامي ما كان له أن يجد قبولاً لدى المخالفين إذا اتصف بهذه الأخلاق السلبية، فقد نهت آيات القرآن الكريم من أن يتوجه الخطاب الإسلامي نحو السب للآخر، وإن كان على غير الإسلام، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ الأنعام/108، فالله تعالى نهى رسولهﷺ والمؤمنين عن سب آلهة المشركين، وإن كان في ذلك مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسب الله عز وجل[30].

وكذلك حذرت منها توجيهات النبيﷺ، حيث نفت تمام الإيمان عن صاحب الخطاب القائم على السباب واللعن والفحش والبذاءة.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيْسَ بِاللَّعَّانِ، وَلَا الطَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ)[31]، أي ليس المؤمن الكامل بعياب للناس، ولا اللعان لهم، ولا فاعل الفحش أو قائله، فلا يعرف لسانه الشتم القبيح الذي يقبح ذكره، ولا الكلام البذيء الذي لا حياء له[32].

وأرى أن كثيراً من الحوارات والمناظرات التي تعرض على بعض الفضائيات قد خرجت عن هذه الأخلاق بشكل لافت، وفاضح في نفس الوقت، حتى يظن الرائي أنه لا هدف لأي متحاور سوى إسكات خصمه، ولا وسيلة لذلك سوى السباب والشتم والكلمات النابية التي لا تليق، وهو ما يعني إضاعة الوقت، وتبديد الجهد، وزيادة الخصومة والشقاق، فضلاً عن تصدير فكرة مشوّهة عن أفكار المتحاورين، من خلال فساد خطابهم.

إن الخطاب الإسلامي ينأى بصاحبه أن ينحرف عما جاء لأجله، من دعوة للتوحيد الخالص، والقيم النبيلة والسامية، لذا على الداعية إذا ما تعرض لجهالة الجاهلين أن يحافظ على قيمه وأخلاقه، وأن يقابل الجهل بالعفو والحلم، والكلم النابي بالأمر بالمعروف، والتمادي في الإساءة بالصبر والإعراض عنها.

قال تعالى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ الأعراف/ 199.

والناس على نحوين إما محسن، نأخذ ما فاض علينا من إحسانه، وهذا لا نكلفه فوق طاقته ولا ما يحرجه، أو مسيء، نأمره بالمعروف، فإن تمادى على ضلاله، واستمر في جهله فنعرض عنه، لعله

يعود إلى رشده[33]، كما قال تعالى:﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ**﴾ المؤمنون/96-98.

أما إذا تجاوز المسيء حدود طاقة المسلم فبغى عليه، وبلغ أذاه الناس مبلغاً آذى فيه الصغير والكبير؛ فيكون الانتقام منه أفضل، لكن دون اعتداء؛ كي لا يجترئ الفساق على الدعاة[34]، وعليه فالمسلم محمود إن عفا، ومحمود إذا انتقم، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ**﴾ الشورى/39.

2- تعميم الدعاء على الكافرين:

ينبغي التفريق بين الدعاء على الكافر المعادي، الذي بلغ أذاه الإسلام والمسلمين مبلغاً، وبين المسالمين منهم؛ وبين حالتي السلم والحرب، لذا نجد الإمام البخاري قد بوّب في صحيحه باباً أسماه "باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة"[35]، فإذا وقع ظلم من قبلهم فللمظلوم أن ينتصر من ظالمه – ولكن مع اقتصاد – وإن كان مؤمناً؛ فأما أن يقابل القذف بالقذف ونحوه فلا، أما إن كان كافراً فله أن يرسل لسانه، ويدع بما شاء من الهلكة، وبكل دعاء[36].

كما بّوب البخاري باباً آخر أسماه "باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم، كما سبق بيانه[37]، للتأكيد على تلك المفارقة، وأنهﷺ كان تارة يدعو عليهم إذا اشتدت شوكتهم وكثر أذاهم، وفي الأخرى يدعو لهم، إذا أمن غائلتهم ورجى تألفهم[38]؛ لذا رفض النبيﷺ الدعاء عليهم بشكل عام، كما يفعل بعض الأئمة اليوم، وذلك لما طلب بعض الصحابة منهﷺ أن يدعو على المشركين عموماً فلم يستجب لهم؛ لأن مقتضى صفة الرحمة تقتضي الدعاء لهم لا عليهم.

عن أبي هُرَيْرَةَ، قال: قِيلَ يا رَسُولَ اللَّهِ: (ادْعُ على الْمُشْرِكِينَ. قال: إني لم أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً)[39]؛ وذلك لأن اللعن طرد من رحمة الله تعالى وهو مخالف لكون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين.

وقد استغل بعض أعداء الإسلام مقولات وأدعية من بعض الخطابات الإسلامية، التي أذيعت عبر بعض منابر المساجد، أو الفضائيات ونحوها، بغية تشويه صورة الإسلام، وتوظيفها في شحن الشعوب الأخرى بكراهية الإسلام.

ومن ذلك بعض الأدعية والمقولات التي اقتبسها غيرت فيلدرز عضو البرلمان الهولندي في الفيلم الذي أنتجه وأسماه (فتنة)، حيث وظَّفها بطريقته، ناشراً إياها من خلال مواقع الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)[40].

ثالثاً- حسن الاستماع:

لقد كان النبيﷺ يستمع للمتحدث حتى يفرغ من حديثه، فإذا انتهى كلمه، ومن ذلك حديث جابر حينما سأله النبيﷺ عن سبب مجيئه في الليل، فشرع جابر يجيبه حتى انتهى من حديثه، دون أي مقاطعة من النبيﷺ، حتى جاءه دوره في الحديث، وهو ما أفاده قول فلما فرغت، وذلك في حديث جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، حين سئل عَنْ الصَّلَاةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ؟ فَقَالَ: (خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فَجِئْتُ لَيْلَةً لِبَعْضِ أَمْرِي فَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي وَعَلَيَّ ثَوْبٌ وَاحِدٌ فَاشْتَمَلْتُ بِهِ وَصَلَّيْتُ إِلَى جَانِبِهِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ مَا السُّرَى يَا جَابِرُ فَأَخْبَرْتُهُ بِحَاجَتِي فَلَمَّا فَرَغْتُ قَالَ مَا هَذَا الِاشْتِمَالُ الَّذِي رَأَيْتُ قُلْتُ: كَانَ ثَوْبٌ يَعْنِي ضَاقَ قَالَ: فَإِنْ كَانَ وَاسِعًا فَالْتَحِفْ بِهِ وَإِنْ كَانَ ضَيِّقًا فَاتَّزِرْ بِهِ)[41].

إن عدم الاستئثار بالكلام من صور الاحترام، لذلك على المحاور أن يراعي الوقت المتاح له ولمستمعه، بشكل من التوازن والاعتدال، أما إذا أطال فإنه يترتب على فعله نفور السامعين وسخريتهم، يقول دي كارنجي: "إذا كنت تريد أن ينفض الناس من حولك، ويسخروا منك عندما توليهم ظهرك، فهاك الوصفة: لا تعط أحداً فرصة الحديث! تكلم بغير انقطاع.. وإذا خطرت لك فكرة بينما غيرك يتحدث فلا تنتظر حتى يتم حديثه. فهو ليس ذكياً مثلك... فلماذا تضيع وقتك في الاستماع إلى حديثه السخيف؟ اقتحم عليه الحديث، واعترض في منتصف كلامه"[42]، وهو ما لم يفعله النبيﷺ.

رابعاً- مخاطبة من تحاوره بما يليق به من ألقاب:

إن الخطاب المؤثر لابد أن يحفظ الطريق إلى أبواب القلوب مفتحة، وهذا لا يكلف الداعية سوى مراعاة مكانة المخاطب، وقدره، ودغدغة مشاعره بما يحب، دون مداهنة أو نفاق، كأن يناديه بكنيته، أو لقبه الذي هو عليه كأن يكون ملكاً أو أميراً أو شاعراً أو بمقام الأبوة أو نحو ذلك.

ومن ذلك مخاطبة إبراهيم عليه السلام لأبيه بلفظ الأبوة مع أنه مشرك، فلا يليق بالمحاور أن يستخدم ألفاظاً ونعوتاً من شأنها النيل من كرامة الخصم وشخصه، إذ الخلاف على الموقف أو الفكرة فلنناقشها وننسفها بأسلوب علمي حضاري دون تجريح وسباب وشتائم لمن نحاور.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَن فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ مريم/41-45.

ومن ذلك مخاطبة النبيﷺ لهرقل بلفظ عظيم الروم، حيث كان كذلك عند قومه، وذلك في الكتاب الذي أرسله مع دحية، حيث جاء فيه: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ

اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران/ 64)[43]، ويستفاد من الحديث:

1- بدء النبيﷺ بنفسه، وهذا حق لا مرية أو مداهنة فيه، ثم تثنية صادقة بموقع هرقل في قومه بأنه من تعظمه الروم، وتقدمه للرئاسة عليها[44].

2- استخدام نوع من الملاطفة مع هرقل، وذلك حين قال: "عظيم الروم"، أي الذي يعظمونه ويقدمونه، وهو من باب إلانة القول لمن يدعى إلى الإسلام[45].

خامساً- استمرار العلاقة الإيجابية مع المخالفين:

اقتضت سنة الله تعالى في خلقه، الاختلاف في الرأي أو المعتقد، وهو ما يعني بالضرورة للخطاب الإسلامي أن يراعي هذه السنة الإلهية، وأن يرسخ القيم الاجتماعية الإيجابية، مع أبناء المجتمع المسلم ابتداءً، ثم غيرهم في أيام السلم المجتمعي.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ هود/ 118-119.

يقول ابن كثير: "أي ولا يزال الخُلْفُ بين الناس في أديانهم، واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم"[46]، ورغم هذا الاختلاف إلا أنه لم يؤثر سلباً على أخلاق الصحابة والتابعين وأهل العلم إذا ما اختلفوا في مسألة أو تداعوا لمناظرة؛ وذلك لسببين:

1- الإيمان بأن الخلاف لا يفسد للود قضية:

إن الاختلاف بين الناس أمر لا غضاضة فيه، ما دام معتبراً شرعاً، بل هو خير ورحمة بين الناس[47]، والأصل فيه ألا يخدش العلاقات الإنسانية بين الناس، أما إذا كان الاختلاف لا يعذر المخالف به فيعامل كأهل البدع، وهو ما أثر عن السلف رضوان الله عليهم.

يقول ابن تيمية عن السلف الصالح: "وَكَانُوا يَتَنَاظَرُونَ فِي الْمَسْأَلَةِ مُنَاظَرَةَ مُشَاوَرَةٍ وَمُنَاصَحَةٍ، وَرُبَّمَا اخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ فِي الْمَسْأَلَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ مَعَ بَقَاءِ الْأُلْفَةِ وَالْعِصْمَةِ وَأُخُوَّةِ الدِّينِ. نَعَمْ مَنْ خَالَفَ الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ وَالسُّنَّةَ الْمُسْتَفِيضَةَ أَوْ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ خِلَافًا لَا يُعْذَرُ فِيهِ فَهَذَا يُعَامَلُ بِمَا يُعَامَلُ بِهِ أَهْلُ الْبِدَع"[48].

ومن ذلك اختلاف الصحابة الأجلاء في فهم مراد النبي صلى الله عليه وسلم من النهي عن صلاة العصر إلا في بني قريظة.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قالﷺ يوم الأحزاب: (لَا يُصَلِّيَن أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ فَأَدْرَكَ بعضهم الْعَصْر فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ بعضهم: لَا نُصَلِّي حتى نأتيها وقال بعضهم بل نصلي لَمْ يُرِدْ مِنَّا ذلك فذكر ذلك للنبيﷺ فلم يعنّف واحداً منهم)[49].

فمنهم من حملها على المبالغة في الإسراع فقدم الصلاة لحرمتها ولكثرة الحثّ عليها في وقتها، ومنهم من أخذ بظاهر النهي فالتفت إلى أدائها في بني قريظة حتى لو ذهب وقتها، ومع كل ذلك لم ينكر النبيﷺ على أيٍّ من الفريقين[50].

يقول الإمام النووي: " وفيه أنه لا يعنف المجتهد فيما فعله باجتهاده إذا بذل وسعه في الاجتهاد وقد يستدل به على أن كل مجتهد مصيب"[51].

"وقَدْ اتَّفَقَ الصَّحَابَةُ فِي مَسَائِلَ تَنَازَعُوا فِيهَا؛ عَلَى إقْرَارِ كُلٍّ فَرِيقٍ لِلْفَرِيقِ الْآخَرِ عَلَى الْعَمَلِ بِاجْتِهَادِهِمْ كَمَسَائِلَ فِي الْعِبَادَاتِ والمناكح وَالْمَوَارِيثِ وَالْعَطَاءِ وَالسِّيَاسَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ... وَتَنَازَعُوا فِي مَسَائِلَ عِلْمِيَّةٍ اعْتِقَادِيَّةٍ كَسَمَاعِ الْمَيِّتِ صَوْتَ الْحَيِّ وَتَعْذِيبِ الْمَيِّتِ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ وَرُؤْيَةِ مُحَمَّدٍﷺ رَبَّهُ قَبْلَ الْمَوْتِ مَعَ بَقَاءِ الْجَمَاعَةِ"[52].

2- المحافظة على عرى الوحدة والأخوة بين المسلمين:

إن أعظم الآفات التي تتهدد عرى الأخوة، ومعاني الألفة والمحبة بين المسلمين أن تتنافر القلوب مع تنافر الآراء والاجتهادات.

يقول ابن تيمية: "وَلَوْ كَانَ كُلَّمَا اخْتَلَفَ مُسْلِمَانِ فِي شَيْءٍ تَهَاجَرَا لَمْ يَبْقَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عِصْمَةٌ وَلَا أُخُوَّة"[53].

أما إذا كان الاختلاف مذموماً، بحيث تعدى إلى أصول الدين، فينبغي أن يتوجه الخطاب الإسلامي، لاجتثاثه بالحجة والبيان والبرهان ابتداءً.

"إنّ الاختلاف المذموم المحذّر منه هو الاختلاف في أصول الدّين، الذي يترتّب عليه اعتبار المخالف خارجاً عن الدين، وإن كان يزعم أنّه من مُتّبعيه، فإذا طرأ هذا الاختلاف وجب على الأمّة قصمه وبذل الوسع في إزالته من بينهم، بكلّ وسيلة من وسائل الحقّ والعدل، بالإرشاد والمجادلة الحسنة والمناظرة، فإنْ لم ينجع ذلك فبالقتال كما فعل أبو بكر في قتال العرب الذين جحدوا وجوب الزكاة"[54]، وقد ينتقل الخطاب إلى الدعوة إلى الهجران والمقاطعة، ومن ذلك المخلفين الثلاثة الذين تخلفوا عن النبيﷺ في غزوة تبوك هجرهمﷺ وأمر المسلمين أن يهجروهم، حتى بلغ الأمر اعتزال نسائهم[55].

وكذلك فعل عمر بن الخطابﷺ حيث أمر المسلمين بهجر صبيغ بْنِ عَسَلٍ التَّمِيمِيِّ، حين رَآهُ يتبع مَا تَشَابَهَ مِنْ الْكِتَابِ إلَى أَنْ مَضَى عَلَيْهِ حَوْلٌ وَتَبَيَّنَ صِدْقُهُ فِي التَّوْبَةِ فَأَمَرَ الْمُسْلِمِينَ بِمُرَاجَعَتِهِ[56].

وهذا بخلاف أهل الكتاب؛ لأنهم مؤمنون بالله غير مشركين به فهم متأهّلون لقبول الحجة غير مظنون بهم المكابرة؛ لذا تقتصر مجادلتهم على بيان الحجة دون إغلاظ حذراً من تنفيرهم، بخلاف المشركين الذين أظهروا تصلبهم وصَلفهم وجلافتهم فناسبهم أن يعاملوا بالغلظة وأن يبالغ في تقبيحه دينهم، وتفظيع طريقتهم؛ لأن ذلك أقرب نجوعاً لهم[57]، قال تعالى:﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُم﴾ العنكبوت/ 46.

المطلب الثالث: جوانب أخلاقية أخرى في الخطاب الإسلامي

اتسعت دائرة الأخلاق في الخطاب الإسلامي، فشملت خلق الرحمة والإحسان والعدل والوفاء والصبر وغيرها، والتي تعدّ خطاباً صامتاً يؤثر بشكل فاعل في الآخرين، فضلاً عن تأثير هذه الأخلاق على طبيعة الخطاب الصادر عن الداعية، ويمكن بيان أهم تلك الجوانب الأخلاقية في النقاط الآتية:

أولاً– صدق الخطاب:

يعد الصدق مع الله ومع النفس ومع الآخرين من أعظم الأخلاق التي ينبغي للدعاة أن يتخلقوا بها، وإن كان أولها أعظمها وأشملها، فإن من تخلق وتأدب بالصدق مع الله، ينبغي أن يتصف بسائر الأخلاق الأخرى، وإن انتفت كان انتفاء غيرها من باب أولى.

وإن مما يميز الخطاب الإسلامي عما سواه أنه خطاب رباني المصدر؛ لذا لا يمكن أن يوصف بغير الصدق، إضافة إلى التزام صاحبه بالصدق أيضاً، الأمر الذي يحقق القبول ويوجد الثقة بالداعية لدى المدعوين، وهو خلق الأنبياء عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ مريم/41، وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ مريم/ 56.

وهو ما برز في حياة النبيﷺ الذي عرف بالصادق الأمين، فاحتج حين أمره الله تعالى بدعوة قومه بما عرفوه فيه من الصدق.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وَرَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ[58] خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِﷺ حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا فَهَتَفَ: يَا صَبَاحَاهْ فَقَالُوا: مَنْ هَذَا؟ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ. فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا. قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ. قَالَ: أَبُو لَهَبٍ تَبًّا لَكَ مَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا! ثُمَّ قَامَ. فَنَزَلَتْ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ المسد/1)[59].

إن صدق الخطاب لدى الدعاة دليل قوتهم، وقوة أفكارهم، ورسول حق إلى قلوب الناس وعقولهم عبر أقصر المسالك، في حين من ظن أنه بتغيير الحقائق واختلاق الأكاذيب، وتزييف الأدلة يمكنه أن

يخدع الناس أو أن يقنعهم بفكرته، ويجذبهم إليه، جّد واهم، بل غارق في وهمه فضلاً عن مخالفته هدي سيد المرسلين، عليهم السلام.

ثانياً- الرحمة بالعامة:

حثت تعاليم الإسلام الدعاة أن يكونوا رحماء مع كافة الناس، في خطابهم ومعاملاتهم، دون النظر إلى دينهم ومعتقدهم؛ لما في هذا الخلق من تأثير فاعل نحو استقطاب القلوب، والتأثير على العقول.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينِ﴾ الأنبياء/ 107، أي للخلق كلهم[60].

وعنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: (لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ)[61]، أي لا يستحق الرحمة من لا يتخلق بها مع الناس كافّة.

قال ابن بطال: (فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق، فيدخل المؤمن والكافر، والبهائم، المملوك منها وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسقي، والتخفيف في الحمل، وترك التعدي بالضرب"[62].

إن الخطاب المنفر هو ذلك الخطاب الذي يعرف بالقسوة المفرطة، ويتسم بالفظاظة، والغلظة المنفرة، خلافاً للخطاب الاستيعابي القائم على الرحمة والرفق واللين.

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ آل عمران/ 159، " أي لو كنت سيِّئَ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفا لقلوبهم"[63].

وقد نطقت التوراة بهذه الصفات السامية، للنبيﷺ، فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاصﷺ، حين سئل عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِﷺ فِي التَّوْرَاةِ قَالَ: (أَجَلْ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ الأحزاب/45، وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا)[64]، وبصفة الرحمة وعدم الغلظة والفظاظة في الخطاب استطاع النبيﷺ أن يدخل العرب في الإسلام، وينقلهم من الكفر للإيمان[65].

ثالثاً- الإحسان في الخطاب مع غير المسلمين وعدم إلحاق الأذى بهم:

حثت تعاليم الإسلام المسلمين على برّ غير المسلمين من الكفار وأهل الكتاب والإحسان إليهم، ما داموا لم يقاتلونا، ولم يعتدوا علينا، خلافاً لمن أعلن الحرب على الإسلام وآذى المسلمين.

قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ* إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الممتحنة/ 8–9، فالآية لا تمنع الإحسان للكفرة الذين لم يقاتلوا المسلمين كالنساء والضعفاء بخلاف من حاربهم وقاتلهم(66).

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: (قدمت عَليَّ أمي وهي مشركة في عهد رسول اللهﷺ، فاستفتيت رسول اللهﷺ قلت: وهي راغبة أفأصل أمي؟ قال: نعم صلي أمك)(67).

يقول الإمام القرافي: "إن الإحسان لأهل الذمة مطلوب، وأن التودد والموالاة منهي عنهما، والبابان ملتبسان فيحتاجان إلى الفرق، وسر الفرق أن عقد الذمة يوجب حقوقاً علينا لهم؛ لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا وذمة الله تعالى وذمة رسولهﷺ ودين الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء، أو غيبة في عرض أحدهم، أو نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك، فقد ضيع ذمة الله تعالى، وذمة رسولهﷺ، وذمة دين الإسلام"(68)، وقد جاء في حاشية ابن عابدين أن غيبة الذمي تحرم كغيبة المسلم؛ لأنه بعقد الذمة وجب له مالنا، فإذا حرمت غيبة المسلم حرمت غيبته، وإن ظلم الذمي أشد،(69)، كما دعا الإسلام إلى حفظ دماء وأموال أهل الكتاب وأعراضهم(70).

أما الذين أعلنوا معاداتهم للإسلام وحاربوه فإن الخطاب الإسلامي يختلف معهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون﴾ المائدة/ 9.

ويجمل الإمام الشافعي خلاصة القول في هذه المسألة بقوله: "وكانت الصلة بالمال والبر والإقساط ولين الكلام والمراسلة بحكم الله غير ما نهوا عنه من الولاية لمن نهوا عن ولايته مع المظاهرة على المسلمين؛ وذلك لأنه أباح بر من لم يظاهر عليهم من المشركين والإقساط إليهم ولم يحرم ذلك إلى من لم يظاهر عليهم بل ذكر الذين ظاهروا عليهم فنهاهم عن ولايتهم إذ كان الولاية غير البر والإقساط، وكان النَّبي صلى الله عليه وسلم فادى بعض أسارى بدر، وقد كان أبو عزة الجمحي ممَّن منَّ عليه، وقد كان معروفاً بعداوته، والتأليب عليه بنفسه ولسانه، ومن بعد بدر على ثمامة بن أثال، وكان معروفاً بعداوته، وأمر بقتله ثم منّ عليه بعد أسره وأسلم ثمامة وحبس الميرة(71) عن أهل مكة فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأذن له أن يميرهم فأذن له فمارهم"(72)، وهذا يعني أن من جاهر بعداوته للإسلام فإن الخطاب المناسب له يتصف بالشدة والتي تصل إلى القتل بخلاف من أبدى اللين وعدم المعاداة.

رابعاً– العدل:

إن القاعدة الأساسية التي يرتكز عليها الخطاب الإسلامي إنصاف الآخر، وعدم ظلمه، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون﴾** المائدة/8.

وفي الآية أمر ظاهر بالتزام العدل وعدم إيثار العدوان على الحق حتى ولو نفذت شهادة الكافر على المسلم، وترتب عليها حكم؛ لأنه أمر بالعدل وإن أبغضه، ودلت الآية أيضاً على أن كفر الكافر لا يمنع من إنصافه(73).

وقال تعالى: **﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾** الأنعام/ 152، وفي الآية ارتفاع بالضمير البشري إلى مستوى سامق رفيع، على هدى من العقيدة في الله ومراقبته، ومعالجة لإحدى مزلات الضعف البشري والذي يجعل شعور الفرد بالقرابة هو شعور التناصر والتكامل والامتداد، ومن ثم يجعله ضعيفاً تجاه قرابته حين يقف موقف الشهادة لهم أو عليهم، أو القضاء بينهم وبين الناس.. وهنا في هذه المزلة يأخذ الإسلام بيد الضمير البشري ليقول كلمة الحق والعدل(74).

وقد أكدت السنة النبوية هذا الخلق العظيم؛ كي يتربى المسلم على العدل في الخطاب فلا يظلم.

عن زُهَيْرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: (إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا)(75)، وهذا الفضل والثواب لمن وصف بالعدل فيما استرعاه الله واستأمنه عليه(76)، سواء كان حاكماً، أو أباً، أو أماً، أو إعلامياً، أو نحو ذلك من الولايات.

وأرى أن الانتصار للفكرة لا يبرر انحراف الخطاب عن قاعدة العدل هذه، إذ إن قوة الفكرة في صدق أدلتها، وعدالة منطقها، مع احترام مخالفها، لا فيما يراه الناظر لبعض الحوارات والتي تعطي صورة نمطية سلبية عن المتحاورين، وقد يتعدى لأفكارهم واتجاهاتهم، إذ يغلب عليها السباب وارتفاع الأصوات والتلويح بالأيدي، فضلاً عن الافتراء والكذب على المخالف، ونحو ذلك من الممارسات التي لا تليق بالمسلم، وهو ما يؤكده التوجيه الرباني في سورة النساء الذي ينهى المسلم أن ينحاز لنفسه فضلاً عن ذويه ويظلم الآخرين ممن خالفوه الرأي، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾** (النساء/135)، أي: اشهد الحق وإن كان مَضرة عليك، أو على والديك، وقرابتك، فإن الله سيجعل لمن أطاعه فرجاً، ومخرجاً من كل أمر يضيق عليه(77)، ومن لم يكن كذلك استحق وصف امرأة أبي لهب بأنها حمالة الحطب؛ وذلك لأنها كانت تنم وتكذب، فتشعل بين الناس العداوة(78).

خامساً- الوفاء بالعهد:

لقد حثت تعاليم الإسلام على هذا الخلق الكريم؛ لأن فيه احترام المعاهدات والعقود، والالتزام بما تم الاتفاق عليه[79]، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ الإسراء/ 34، وكل ما أمر الله به أو نهى الناس عنه يعد من العهد[80]، فعن أنس بن مالكﷺ قال: (ما خطبنا رسول اللهﷺ إلا قال : لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له)[81].

لقد تضمن الخطاب النبوي حثاً على الوفاء بالعهد، حتى لو كان العهد مع الكافر.

عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِﷺ عَنْ آبَائِهِمْ دِنْيَةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِﷺ قَالَ: (أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[82]، وفي الحديث تحذير لمن أذى أهل الذمة بزيادة خراج أو جزية أو نحوه، باستحقاق مخاصمة الرسولﷺ، له يوم القيامة[83]، وذلك لما ألحقه من الأذى على الذمي، ويمكن أن يلحق به كل ما يؤذي من قول أو خطاب.

يقول سيد قطب: "ومن عهد الله قولة الحق والعدل ولو كان ذا قربى"[84]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون﴾ الأنعام/ 152.

وهذا يعني أن مما وصى الله به وجعله عهداً وميثاقاً واجب الوفاء، أن يقول الإنسان حقاً وصدقاً، وألا يظلم أو يؤذي مسلماً أو ذمياً دون وجه حق، ولو بكلمة أو كتابة، فكيف إذا التزم المسلم بميثاق شرف-يرضي الله عز وجل- يضبط فيه الخطاب الإعلامي مثلاً، فإن ذلك آكد على الوفاء، وهو ما يعني إبراز أخلاقيات الخطاب الإسلامي، وليس ابتداعاً لها.

ومن ذلك أن النبيﷺ شهد حلف الفضول في الجاهلية، وبين أنه لو دعي إلى مثله في الإسلام لأجاب[85]؛ وذلك لقيامه على قيم نبيلة يرتضيها الإسلام كنصرة المظلوم، في حين أن الحلف إذا اقتضى شيئاً يخالف الإسلام فهو باطل[86].

إن الإسلام أمر بالوفاء بالعهد، وجعل الغدر حراماً في كل عهد بين المسلم وغيره وإن كان كافراً، وأما عهود المسلمين فيما بينهم فالوفاء بها أشد ونقضها أعظم إثماً[87].

سادساً- الصبر:

أمر الله عز وجل نبيه بالصبر على أذى المخالفين والمعاندين، بحيث يحلم عليهم، ولا يقابل فعلهم السيء بمثله، قال تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِر﴾ المدثر/ 7، قال ابن كثير: "أي اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك عز وجل"[88]، فإن في ذلك دفعاً للعداوة واستبدالاً لها بالحب، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيم﴾ فصلت/ 34-35، وهذه دعوة واضحة للمؤمنين لأن يكسبوا

القلوب، ويستقطبوا المخالفين عبر مواجهة الكراهية بالحب، وجهل المعاندين بالحلم، وأذى الآخرين بالصبر.

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما -في قوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن- قال: (أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم)[89]، وإن لم يحلم الداعية ويصبر يتبدد جهده، بل يكون ما يفسده أكثر مما يصلحه[90].

وقد برزت آثار خلق الصبر في حياة النبيﷺ في عديد من المواطن، منها:

1- مع المنافقين:

لقد كان النبيﷺ وأصحابه يصبرون على أذى المنافقين والمشركين، كشأن أصحاب الدعوات، أن يبتلوا بشتى أصناف البلاء، ومنه الخطاب الموجّه بغية الإساءة للداعية والصد عن دينه ودعوته، الأمر الذي ينبغي أن يقابل بالصبر والعفو، والكلم الطيب من القول.

قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ آل عمران/ 186.

عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أخبر (أن رسول اللهﷺ ركب على حمار، على قطيفة فدكية[91]، وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج، قبل وقعة بدر، قال: حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي بن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين، والمشركين عبدة الأوثان، واليهود، وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: لا تغبروا علينا فسلم رسول اللهﷺ عليهم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فقال له عبد الله بن أبي: يا أيها المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذنا به في مجلسنا وارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه... فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبيﷺ يخفضهم حتى سكنوا، ثم ركب النبيﷺ دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له النبيﷺ يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب يريد عبد الله بن أبي قال كذا وكذا قال سعد بن عبادة يا رسول الله اعف عنه واصفح عنه... فعفا عنه رسول اللهﷺ وكان النبيﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى)[92].

ويلاحظ من الحديث ما يلي:

أ. سوء أدب زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول مع رسول اللهﷺ، حين قال له، "لا تغبروا علينا"، وقوله لخير خلق اللهﷺ: "يا أيها المرء"، وقوله بفظاظة وغير إدراك لمقام النبوة: "وارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه" حتى استب الحاضرون في المجلس من المسلمين وغيرهم.

ب. قابل النبيﷺ سوء الخطاب من زعيم المنافقين، بحسن الخطاب، ومكارم الأدب والأخلاق، فقد سلم عليهم، ثم نزل ولم يبق راكباً على دابته، بما يعكس تواضعهﷺ، ودعاهم إلى الله تعالى، وقرأ عليهم القرآن، ولما تطاول ابن سلول مرة أخرى استبّ القوم، وكاد أن يثب بعضهم على بعض، فما كان من النبيﷺ إلا أن رفض هذه الحالة بين من كان في المجلس، ولا زال يخفضهم ويهدئهم، حتى سكنوا، وختم الخطاب بالعفو والصبر، وفي ذلك فائدة عظيمة في الرد على من يستفز الدعاة، بأن يضبط نفسه، ويصبرها بحيث لا يكون خطابه غير منضبط أو ردة فعل لا تحمد عقباها.

ج. إن عظيم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم امتدت مع المنافقين الذين تطاولوا على رسول اللهﷺ قبل إعلان إسلامهم، وحتى في عدم وجودهم وهو ما يفهم من حوار النبيﷺ مع سعد بن عبادة، حيث كنى النبيﷺ زعيم المنافقين –رغم إساءته– بكنيته "أبو حباب" وبادله سعد بن عبادة خطاباً إيجابياً آخر وهو العفو والصفح، بما يعني أن الخطاب الدعوي ليس عدائياً ولا تكفيرياً أو إقصائياً وتنفيرياً للآخر فقد قوبل الأذى بالصفح والتسامح، والقسوة والفظاظة باللين والصبر.

2– مع المشركين:

اشتد أذى المشركين لرسول اللهﷺ حسياً ومعنوياً، حتى جاء فتح مكة، حيث تمكن من رقابهم، إلا أنه قابل إساءتهم وعدوانهم بالصبر والصفح، فعفا عنهم، فما كان من موقفه هذا إلا أن جاء بهم إلى الإسلام أفواجاً وطواعية.

يقول القاضي عياض: "من صبره على مقاساة قريش وأذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم إلى أن أظفره الله عليهم وحكمه فيهم، وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم فما زاد على أن عنا وصفح، وقال (ما تقولون إني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم –الآية–، اذهبوا فأنتم الطلقاء)[93].

إن خلق التشفي والانتقام بعد القدرة والتمكن من الخصوم أمر لا يمكن إلا أن يورث المزيد من الكراهية، والأحقاد، والضغائن، ومن ثم انحراف بوصلة الخطاب الإسلامي، نحو التنفير والإقصاء والإبعاد للخطاب الآخر، الأمر الذي يجعل أمر التلاقي فيما بينهما صعب المنال، ولإمكانية الصدام بصوره السلبية المختلفة، أكبر احتمال.

وفي ضوء ما تقدم يمكننا القول إن المفتاح الأكثر فاعلية لقلوب الناس كافة هو حسن الخلق، وإن الخطاب الأكثر فاعلية في النفوس هو الموصوف بالخلق الحميد؛ وهو ما يعني سرعة انتشار الإسلام بين الآخرين.

إن الأخلاق الفاضلة هي التي دفعت النصارى أن يراسلوا المسلمين –وكانوا يومها بقيادة أبي عبيدة بن الجراحﷺ–، قائلين لهم: أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا من الروم، ولكنهم قد غلبونا على منازلنا[94].

ولله درّ الشاعر عبد الغني النابلسي حين قال:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح[95]

وهو ما دفع السير توماس و. أرنولد لأن يؤكد أن نشر الدعوة الإسلامية في أفريقيا قد تحقق عبر الطرق السلمية، وما اتصف به المسلمون من الحلم والأناة وحسن الخلق، وقد أثر ذلك في نشر الإسلام أكثر مما فعلته أساليب الحرب والعنف[96]، كما وانتشر الإسلام في جنوب شرق آسيا من خلال الخطاب الأخلاقي للتجار الذين أحسنوا التعامل مع الآخرين من أصحاب الديانات الأخرى، فقام خطابهم على أساس العدل والمساواة والتسامح واحترام الآخرين[97]، فانحاز إليهم الناس بحب وطواعية وتمسكوا بدعوة الله تعالى تأثراً واستجابة للجانب الأخلاقي في الخطاب الدعوي.

وهذا يعني بمفهوم المخالفة أن الخطاب الدعوي إذا كان بمنأى عن الأخلاق فإنه يسهم في إبعاد الناس عن دعوة الله تعالى، خاصة إذا علمنا أن كثيراً من المسلمين ارتبطت مواقفهم بالرجال فإذا صدر منهم ما يشين اقتفوا آثارهم، أو انقلبوا على دعوتهم ظناً منهم أنهم يمثلون دعوة الله في الأرض سلباً وإيجاباً.

الخاتمة

أولاً- النتائج:

1- بينت الدراسة أهمية الرفق في الخطاب الإسلامي، ودوره في كسب واستيعاب الآخرين، وأنه لا يتعارض مع الغلظة في بعض المواطن.

2- يوجد تباين في الخطاب الإسلامي بين مرحلتي السلم والحرب، إذ إن لمقام الحرب خطاب يجيز للداعية أن يدعو على الكافر ويغلظ عليه، في حين أجاز الشارع أن ندعو للكافرين بالهداية ودخول الإسلام في مرحلة السلم الأهلي.

3- أظهرت الدراسة بعض المواطن التي ينبغي للخطاب الإسلامي أن يتباين زمن السلم الأهلي أيضاً، وذلك حين يكون الخطاب موجهاً للناس كافة كأن يكون عبر الفضائيات أو الشبكة

العنكبوتية (الإنترنت)، وبين أن يكون في وسط محلي إسلامي لا يجاوزه، وحتى في حق الشخص المسلم نفسه إذا عرف بالغلظة والفظاظة، فلا بأس من لين الخطاب معه اتقاءً لشره.

4- إن إبداء الاحترام للآخر حين مخاطبته، وعدم قصد استفزازه والإساءة إليه يمثل أقصر السبل في الوصول إليه والتأثير عليه.

5- إن الجانب الأخلاقي في الخطاب الإسلامي يتعدى حدود المجتمع الإسلامي إلى غيره من المجتمعات الجاهلية المختلفة، وهو ما عكسته سنة النبيﷺ وتوجيهاته.

6- يمتاز الخطاب الإسلامي بالصدق والعدل والوفاء مع الآخر والإحسان إليه- بغض النظر عن دينه وفكره-، فكفر الخصم لا يبرر ظلمه والافتراء أو الكذب عليه.

7- إن أخلاقيات الخطاب الإسلامي تلزم المسلمين حال توقيعهم على ميثاق شرف إعلامي يضبط خطابه، وينقيه مما لحقه من مساوئ وآفات، بأن يكونوا أول العاملين والملتزمين ببنوده.

ثانياً- التوصيات:

1-إدخال الجانب الأخلاقي في الخطاب الإسلامي كأحد مفردات المقررات في المدارس والجامعات؛ لتصبح ثقافة سائدة يتربى عليها النشء.

2- تكليف الخطباء والدعاة بمعالجة هذا الجانب في المساجد، عبر خطب الجمعة والدروس والأسابيع الدعوية ونحو ذلك من الأنشطة الأخرى.

3- إبراز القيم الأخلاقية للخطاب الإسلامي من خلال الدراما، ووسائل الإعلام المختلفة، بهدف تعزيز وترسيخ هذه الأخلاق في نفوس الناس عبر أساليب متعددة.

وأخيراً... فإن هذا جهد المقل فما فيه من خير فبتوفيق من الله وما فيه من خطأ أو نقص فمن نفسي والشيطان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حواشي البحث:

(1) أخرجه الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مسند أبي هريرة، رقم الحديث (8952)، 14/512-513، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421 هـ - 2001 م، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح، وهذا إسناد قوي.

(2) دراسات في الثقافة، أمير عبد العزيز، 319، بدون رقم طبعة، دار الكتاب العربي، بيروت، (1399هـ-1979م).

(3) انظر: مكارم الأخلاق في الإسلام نظرية وتطبيقاً، أحمد رجب الأسمر، ط1، 27-28، دار الفرقان، عمان، 1428هـ-2008م.

(4) انظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله، هشام سمير البخاري، 16/2، بدون رقم طبعة، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1423هـ- 2003م.

(5) سلسلة مدرسة الدعاة، عبد الله علوان، 250-251، ط1، دار اللام، القاهرة، 1422هـ-2001م.

(6) أخرجه أحمد في مسنده، كتاب باقي مسند الأنصار، باب حديث أبي أمامة الباهلي، رقم الحديث (21185)، 5/ 256، قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، 341/1، بدون رقم طبعة، دار الفكر، بيروت، 1412 هـ.

(7) أخرجه أبو يعلى، مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق : حسين سليم أسد، رقم الحديث (7220)، 147/13، ط1، دار المأمون للتراث، دمشق، 1404 – 1984م، وفي لفظه: "كان يتقي لسانه"، قال حسين سليم أسد: إسناده صحيح.

(8) أخرجه البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تحقيق: محمد زهير الناصر، كِتَاب الْأَدَبِ، بَاب لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، رقم الحديث (6032)، 8/ 13، ط1، دار طوق النجاة،1422هـ.

(9) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، 171/13، بدون رقم طبعة، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، بتصرف.

(10) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما باب من لا يثبت على الخيل، ح (2809)، 2/ 1104.

(11) أخرجه الترمذي في سننه، مختصراً، كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في صنائع المعروف، ح (1879)، 4/ 339، قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(12) انظر: رسائل فتيان الدعوة، جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين، 20، بدون رقم طبعة، مؤسسة الكلمة، 1414هـ– 1994م.

(13) فيض القدير شرح الجامع الصغير، مع الكتاب: تعليقات يسيرة لماجد الحموي، عبد الرؤوف المناوي، 2/ 226، ط1، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، 1356هـ.

(14) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب ذكر البيع والشراء على المنبر في المسجد، رقم الحديث (456)، 98/1.

(15) انظر: فتح الباري، 194/5، بتصرف.

(16) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستئذان، بَاب كَيْفَ يُرَدُّ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ السَّلَامُ، رقم الحديث (6256)، 57/8.

(17) فتح الباري، 43/11.

(18) انظر: المرجع السابق، 281/12.

(19) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، 14/ 147، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392م.

(20) انظر: فقه الأخلاق والمعاملات بين المؤمنين، مصطفى بن العدوي، 97/2، بدون رقم طبعة، دار ابن رجب، المنصورة، 1422هـ–2002م.

(21) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب الدُّعَاءِ لِلْمُشْرِكِينَ بِالْهُدَى لِيَتَأَلَّفَهُمْ، رقم الحديث (2937)، 45/4–46.

(22) صحيح البخاري، نفس الجزء والصفحة.

(23) حول دعاء النبيﷺ على المشركين، انظر: فتح الباري، 106/6.

(24) انظر: المرجع السابق، 108/6.

(25) أخرجه الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، كِتَاب الْمَنَاقِبِ عن رسول اللَّهِﷺ، باب في ثَقِيفٍ وَبَنِي حَنِيفَةَ، رقم الحديث (3942)، 729/5، بدون رقم طبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ. قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

(26) انظر: تاريخ المدينة المنورة، أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري، تحقيق: علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، 270/1، بدون رقم طبعة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417هـ-1996م.

(27) أخرجه مسلم، الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، كتاب فضائل الصحابة، بَاب مِنْ فَضَائِلِ أَبِي هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيِّ، رقم الحديث (6551)، 165/7، بدون رقم طبعة، دار الجيل بيروت، دار الأفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.

(28) أخرجه الترمذي في سننه، كِتَاب الْأَدَبِ عن رسول اللَّهِﷺ، بَاب ما جاء كَيْفَ تَشْمِيتُ الْعَاطِسِ، رقم الحديث (2739)، 82/5، قال أبو عِيسَى هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(29) انظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، 10/8، بدون رقم طبعة، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

(30) انظر: تفسير القرآن العظيم، 314/3.

(31) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود، رقم الحديث (3948)، 60/7، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(32) انظر: تحفة الأحوذي، 95/6.

(33) انظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، 532/3، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999م.

(34) انظر: الجامع لأحكام القرآن، 16/ 39.

(35) صحيح البخاري، 43/4.

(36) انظر: الجامع لأحكام القرآن، 2/6.

(37) انظر: ص14 من البحث.

(38) انظر: فتح الباري، 108/6.

(39) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآدب، باب النهى عن لعن الدواب وغيرها رقم الحديث (6778)، 24/8.

(40) انظر: www.liveleak.com/view?i، تاريخ الاقتباس السبت 2013/7/20م.

(41) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب إذا كان الثوب ضيقاً، رقم الحديث (348)،1/ 142

(42) في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، 38، ط5، مطابع سحر، السعودية،1419هـ-1998م، نقلاً عن: كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس،97

(43) أخرجه البخاري في صحيحه، مختصراً، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِﷺ، رقم الحديث (7)، 9/1.

(44) انظر: فتح الباري، 220/8.

(45) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 108/12.

(46) تفسير القرآن العظيم، 361/4.

(47) انظر: الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، يوسف القرضاوي، 41 وما بعدها، ط4، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1415هـ-1995م.

(48) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، 172/24، ط3، دار الوفاء، 1426هـ - 2005م

(49) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب مرجع النبيﷺ من الأحزاب، رقم الحديث (4119)، 112/5.

(50) انظر: فتح الباري، 1/ 209، 7/ 409-410.

(51) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 98/12.

(52) مجموع الفتاوى، 123/19، 172/24-174.

(53) المرجع السابق، 173/24.

(54) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، 350/11، ط1، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1420هـ-2000م.

(55) انظر: الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك...، رقم الحديث (4418)، 3/6-6.

(56) مجموع الفتاوى، 174/24.

(57) انظر: التحرير والتنوير، 182/20.

(58) عقّب الإمام القرطبي على عبارة (ورهطك منهم المخلصين) بقوله: "وظاهر هذا أنه كان قرآنا يتلى وأنه نسخ؛ إذ لم يثبت نقله في المصحف ولا تواتر" الجامع لأحكام القرآن، 143/13، وذهب ابن حجر إلى أن ذلك من باب عطف الخاص على العام، فقوله: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتك عَامّ يشمل من آمن منهم ومن كفر ثُمَّ عطف عليه الرهط الْمُخْلَصِينَ، وهي صفة المؤمن، تنويهاً وتأكيداً، انظر: فتح الباري، 289/13.

(59) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب سُورَةُ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، رقم الحديث (4971)، 179/6.

(60) انظر: التحرير والتنوير، 128/17.

(61) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التَّوْحِيدِ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا...، رقم الحديث (7376)، 115/9.

(62) فتح الباري، 440/10، انظر أيضاً: أخلاق المسلم علاقته بالنفس والكون، وهبة الزحيلي، 150، ط3، دار الفكر، دمشق، 1429هـ-2008م.

(63) تفسير القرآن العظيم، 148/2.

(64) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، بَابُ كَرَاهِيَةِ السَّخَبِ فِي السُّوقِ، رقم الحديث (2125)، 66/3.

(65) انظر: فتح الباري، 343/4.

(66) انظر: تفسير القرآن العظيم، 419/4.

(67) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الهدية للمشركين...، رقم الحديث (2620)، 164/3.

(68) الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق (مع الهوامش)، أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي، تحقيق: خليل المنصور، 29/3، بدون رقم طبعة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ - 1998م.

(69) انظر: حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، ابن عابدين، 171/4، بدون رقم طبعة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1421هـ - 2000م، أيضاً: معالم الشخصية الإسلامية المعاصرة عصام الحميدان وعبد الرحمن هوساوي، 98-107، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1431هـ-2010م.

(70) انظر: رد المحتار على الدر المختار، محمد أمين بن عابدين، 244/3، بدون رقم طبعة، المطبعة الأميرية، 1326هـ.

(71) "الميرة وهي الطعام ونحوه مما يجلب للبيع" لسان العرب، 188/5، بدون رقم طبعة، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

(72) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، 95/8، بدون رقم طبعة، دار الفكر، لبنان، 1415هـ- 1995م.

(73) انظر: الجامع لأحكام القرآن، 110/6.

(74) انظر: في ظلال القرآن، الشيخ الشهيد / سيد قطب إبراهيم، 3/ 1233، بدون رقم طبعة، دار الشروق، القاهرة، بدون تاريخ، بتصرف.

(75) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر...، رقم الحديث (4825)، 7/6.

(76) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، 12/211-212.

(77) انظر: تفسير القرآن العظيم، 433/2.

(78) انظر: فتح الباري، 8/ 738.

(79) انظر: المرجع السابق، 110.

(80) انظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم، 256/10.

(81) أخرجه أبو يعلى: مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، مسند أنس بن مالك، قتادة عن أنس، رقم الحديث (2863)، 246/5، ط1، دار المأمون للتراث، دمشق، 1404هـ - 1984م، قال حسين سليم أسد : إسناده حسن.

(82) أخرجه أبو داود، سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأزدي السّجِسْتاني، كِتَاب الْخَرَاجِ وَالْإِمَارَةِ وَالْفَيْءِ، بَاب فِي تَعْشِيرِ أَهْلِ الذِّمَّةِ...، رقم الحديث (3052)، 170/3 قال الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير: صحيح.

(83) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، 212/8، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.

(84) في ظلال القرآن، 3/ 1233.

(85) انظر: شرح مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، 15/221-222، بدون رقم طبعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1408هـ - 1987م، أيضاً: حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، 101/8، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.

(86) انظر: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(87) انظر: جامع العلوم والحكم، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، 432، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1408هـ.

(88) تفسير القرآن العظيم، 261/8.

(89) أخرجه البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، كتاب النكاح، باب ما أمره الله تعالى به...، رقم الحديث (13078)، 45/7، بدون رقم طبعة، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة،1414هـ- 1994م، وذكره البخاري في ترجمة الحديث بنحو هذا اللفظ، انظر: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب، رقم الحديث (4815)، 127/6

(90) انظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، 468، ط3، بدون دار نشر أو بلد نشر، 1396هـ-1976م.

(91) قطيفة فدكية: وهي كساء غليظ نسبة إلى فدك بفتح الفاء والدال وهي بلدة مشهورة في السعودية. انظر: فتح الباري، 8/ 231.

(92) أخرجه البخاري في صحيحه، مختصراً، كتاب تفسير القرآن، باب "ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب...، رقم الحديث (4566)، 39/6.

(93) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، مذيلاً بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، أحمد بن محمد بن محمد الشمنى، 109/1-110، بدون رقم طبعة، دار الفكر، بيروت، 1409 هـ- 1988م.

(94) انظر: تاريخ دمشق، علي بن الحسين بن هبة الله بن عساكر، تحقيق: عمر العمروي، 244/43، بدون رقم طبعة، دار الفكر، بيروت، 1995م.

(95) ديوان عبد الغني النابلسي، 383، بدون رقم طبعة أو دار نشر أو تاريخ.

(96) انظر: الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية، سير توماس و.أرنولد، ترجمة حسن حسن وآخرون، ط3، مكتبة النهضة، القاهرة، 1970م

(97) انظر: المرجع السابق، 296.